

# التقريب

(من مجموعة أنا الياسمينه البيضاء)

هذه قاعة فسيحة تطل على حديقة غناء، القاعة بها كراسي وثيرة ولوحات جميلة، وبها نوافذ تُظهر للجالس على أحد هذه الكراسي قامة الحشائش الريانة في الحديقة وتدخل النور بلا حساب. وبما أنها مفتوحة الآن فالهواء أيضاً يدخل بلا حساب من التور مع الشمس التي تربض في المكان منذ الصباح.. ولكن ما هذا الثقب الصغير في تور إحدى النوافذ العملاقة؟ هناك سلكان منقطعان يقابلهما ثلاثة أسلاك أخرى منقطعة وجميعاً يصنعون ثقباً في التور يُدخل طرف الخنصر. الثقب صغير قد لا يلاحظه من بعيد إلا من يعرف أنه هناك. لذلك فالقاعة ما تزال تبدو ساحرة، إلا أن هذا المسرح مُسدل الستار بأمر رب الأسرة.

رب الأسرة طريح الفراش.. في حقيقة الأمر هو ليس رب أسرة، ما عاد كذلك، إنما هو رب بيتٍ فيه ممرض وطاقم من الخدم.. كما أنه في حقيقة الأمر ليس طريح الفراش، رأسه فقط طريح الفراش أما باقي جسده فهو لا يشعر به على الإطلاق حتى أنه يمكن اعتباره في عداد الأموات، ولكنه إنسان كامل لأن رأسه سليم وبه كل مظاهر الحياة: يفكر ويتكلم ويتألم ويضحك ويزمجر ويأكل..

هاهو يأكل تطعمه الخادمة البدينة الطيبة التي ترى امتنان عينيه حتى وهو ينهرها عندما تتلاحق في فمه اللقمة خلف اللقمة... كلهم أغبياء، كلهم حمقى ولا أحد يعرف ما يريد هو

تماماً حتى ممرضه الذي يعمل كالآلة التي لا يستوقفها شيء..  
أحمقهم كبير الخدم.. في حقيقة الأمر هو ليس أحمقهم وإنما  
أخبثهم ولكن سيده يراه في منتهى الحماسة.. ربما لأن الحماسة  
أكثر وداعة من الخبث.

في الصباح تأتي الآلة وتخلع للسيد ملابسه وتغسل له  
جسده وتجففه وتلبسه ملابس أخرى وتضعه على سرير آخر.  
ويصرخ السيد بالخدام فيأتي هذا ويحول السرير إلى شبه  
كرسي ويدلف به عبر دهاليز البيت الكبير إلى حجرة الطعام  
المشرقة. ينهائ اليوم عن أخذه إلى القاعة التي تتوسط البيت  
والتي يعشقها. ذلك أنه يعلم أنه هناك.. الثقب إن كنتم تذكرون.  
ويعلم أن كبير الخدم لن يكون قد استبدل التور كما أمره في  
الأسبوع الماضي لأنه أحمق ومتغطرس وخسيس وحقير وكل  
شيء..

عندما يصبح مزاج السيد في حال أفضل غداً سيأتي إلى  
القاعة وإن كان تورها مثقوب، وسيتملقه كبير الخدم ويحاول  
إضحاكه على بعض النكات السخيفة جداً وتضيفه بشيء ما  
وكانه يتكرم عليه من بيته..

يأمر السيد بكرسيه فيوضع في القاعة الجميلة أمام النافذة  
الأخرى ليتأمل حديقته الجميلة ويستمتع بالهدوء ينبئ به  
وضوح زرققة العصافير.. فجأة تحوّل عينا السيد وهو ينظر  
إلى الذبابة على أنفه في فزع، يريد أن يصرخ بأحد الخدم  
ولكنه يخشى فتح فمه كيلا ترتأي الذبابة التجول في فمه.. يهز  
رأسه يميناً وشمالاً ولكن الأقدام القذرة لا تتحرك.. يهز رأسه

إلى الأعلى والأسفل فتطير الذبابة لحظة ثم تعود في شوق شديد إلى موقعها اللامع وتظل تفعل ذلك مراراً حتى تتلف أعصاب السيد ويغامر فيفتح فمه مستنجداً بالخدم، فيأتون بمضاربهم ويصب هو جام غضبه على كبيرهم. لماذا دخلت الذبابة؟ كيف؟ ويلتفت إلى تور النافذة الأخرى التي يتجنب رؤيتها مذ دخل فيشهق شهقة كبيرة.. لقد أصبح الثقب الآن ضعفي حجمه السابق! ويبتسم كبيرهم في صفاقة ويعتذر بكثرة المشاغل ومحاولة ضبط الميزانية.. يلغنه السيد ويأمر بإغلاق النافذة حتى يغير التور ولا يرضى بموعد لتغييره بعد صباح الغد.

أثناء مروره بعد أسبوعين من أمام باب القاعة يقع نظره رغم أدفه على الثقب ويشهق شهقة كبرى تكاد روحه تخرج معها.. إنه بحجم الكف! ومن الذي علق فيه تلك الخرقاة؟ ألا يعلم أن ذلك يزيده اتساعاً؟ من قال إن الثقوب لتعليق الخرق؟ يأخذه الخادم إلى غرفة الطعام حيث كبير الخدم ويستقبله هذا بابتسامته الصفيقة ويلعن القطط التي تحدث الشقوق ويهدئه ويدس في فمه ملعقة محلبة، يهم ببصقها في وجهه ولكنه يخشى أن ترتد إلى وجهه هو، ثم أن المحلبة لا بأس بها.. يهدأ قليلاً.. الثقوب ليست لتعليق خرق التنظيف..

يذهب بعد أيام لمعاينة الثقب مرة أخرى فيشهق شهقة عالمية إذ يرى قطة قد تسلقت التور وتوشك أن تقفز إلى الداخل من الثقب.. ينهرها الخادم ويغلق الزجاج ويسرع إلى السيد الذي يوشك أن يغشى عليه من الدهشة والاستياء

والغضب، وعندما يستفيق السيد من دهشته يخاطب كبير الخدم بصوت متهاك متقطع:

غداً تدخل الديناصورات من هذا الثقب..  
غداً سيتغير هذا التور! أعدك بهذا يا سيدي.  
أنت لا تفعل شيئاً.. أنت مسخ خادم.. أنت...

يبتلع الكلمات الأخيرة كما يبتلع دموعه التي تكاد تنسكب، لو كان ولده الخسيس يهتم بأمره لجاؤ في الحال وطرد هذا الخسيس الآخر وأحضر خسيساً ثالثاً.. كلهم خسيسون ولكن ثمة خسة أهون من خسة.. لم يبق له الآن إلا أن يعتكف في غرفته لكي لا يرى شيئاً ولا يعلم بأمر الديناصورات عندما تدخل.

لماذا تعذب المسكين هكذا؟ لماذا لا تريحه وتبدل التور؟  
ولكن كبير الخدم يواصل تفليم أظافره في غرفة الطعام متجاهلاً  
قوانين السيد ونظرات الخادمة الطيبة الموجهة إليه بشكل  
هجومي - سلاحها الوحيد.

يبدو أنك تنسى أن المال الذي ستستخدمه لهذا الغرض ماله  
هو، وأنت تعمل لديه!  
يتلمس أظافره المقلمة بإبهامه:

هل قلت مسكين؟ ولمن هذا القصر والأرصدة الضخمة في  
البنوك؟ ولمن نعمل جميعاً؟ نحن المساكين أيتها الغافلة أما هو  
فإنه إنسان متغطرس لا يجيد إلا إلقاء الأوامر وإهانتنا.. ألا  
يصرخ بك كل يوم؟

إنه.. إنه إنسان عاجز، أليست في قلبك ذرة رحمة؟ هل جربت أن تعجز حتى عن أن تنظف أسنانك أو تهش ذبابة عن وجهك؟ إنه عاجز حتى عن البكاء! لأنه إذا بكى فسيمسح له دمعته شخص آخر وسيعلم أنه بكى.

ثم إنني مشغول..

بل متشاغل! أو بالأحرى متكاسل وبتعمد!

ماذا تريدان الآن؟

تنفخ الخادمة في غيظ وهي ترسل النظرة النارية الأخيرة.. تعلم أن هناك مدى معين تنفس فيه عن غضبها لا تستطيع تجاوزه، ونبرة صوته في آخر كلماته هي نهاية المدى لذلك تنسحب من المشهد مشمزة لتستكمل غضبها داخلياً.. هذا الحقير.. إن به داء الصغار الذين يريدون أن يصبحوا كباراً.. كلهم هكذا يتصرفون بحقارة ويستغلون كل ما تحت أيديهم للوصول إلى ما يريدون، ويقتصون من أسيادهم بطرقٍ قذرة.. والغريب أنهم دائماً دائماً -ويا للمصادفة الغريبة- يدخلون من الثقوب.

الثقب ليس كوة، ليس مصرفاً، ليس مدخلاً، ليس

مخرجاً... إنه ثقب! شيء يتكون رغم أنفك! يتكون عندما تتأكل

الأشياء أو تمتد إليها يد المخربين.

أعذرنى.. أعتقد أن هذا الثقب في رأسك..

بل هو هناك. في التور. ليس ذنبي أن كبير الخدم لا يهتم بأمره

وأنت لا تستقبح القبيح.

على كل حال أنت تطلب المستحيل تقريباً.. الفحوصات...

اليمنى فقط.. أرجوك يا دكتور.. أرجوك..  
حسناً.. حسناً.. سأفعل كل ما بوسعي.. لقد أرسلنا تقاريرك إلى  
ثلاثة من كبار الأطباء في الخارج وما علينا إلا الانتظار، ولكن..  
لا أريد لواكن من فضلك.. دعني أحرك يمناي يوماً حتى لو مت  
بعدها.. أرجوك.  
إلى هذا الحد؟ لماذا؟  
أريد أن أصفع كبير الخدم.

منتصف الليل والريح تزمجر في الخارج وتهز النوافذ  
المغلقة وتدخل إلى غرفة السيد كعواء الوحوش المفترسة  
وزئير الأسود.. لا بد أنها دخلت من ذلك الثقب.. ممرضه نائم  
وشخيره وحش آخر يأتي من الغرفة المجاورة.. كلها دخلت من  
الثقب..

**Delalkhalifa.com**